

الأديب و المُفكّر الرَّاحِل رَمَضانَ عَبدِ الرَّحمنِ لَأوَنَدُ

برنامج عودة إلى الماضي



الحلقة الرابعة عشرة

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.. طرق على الباب..

سعد: من بالباب؟

صالح: أنا صالح يا أبا أحمد.

سعد: " حركة فتح الباب " أهلاً بالأخ الكريم صالح.

صالح: سلام الله عليك.

سعد: وعليك السلام ورحمة الله.. خطوة مباركة إن شاء الله.

صالح: " فترة صمت " أتعلم يا سعد لماذا قررت أن أزورك؟

سعد: لأنك رجل صالح.. ولأنك بطبيعتك السابق إلى المكرمات.

صالح: ولماذا لا تكون أنت السابق إلى العمل الصالح؟ الحقيقة أنني أزورك لأنني تذكرت أنه لا يجوز للمسلم أن يقاطع أخاه

المسلم أكثر من ثلاث كما تذكرت أن أفضل الرجلين البادئ بالسلام.

سعد: ألم أقل لك إنك بطبيعتك السابق إلى المكرمات؟!

صالح: " فترة صمت " قل لي يا أبا أحمد.. هل علمت شيئاً عن أخبار ولدك الذي طردته؟

سعد: لا تقلق عليه فهو في خير.. لقد علمت أنه قد لجأ إلى أبي سالم وهو صديق لي قديم..

صالح: وهل تظن أن لجوءه إلى أبي سالم يحل المشكلة؟

سعد: يجب أن يتأدب.

صالح: وما الذي جناه حتى تلجأ إلى تأديبه؟

سعد: العصيان.. إن طاعة الوالدين مقدسة يا أخ صالح.. هكذا تعلم أولادي.. وبهذه العقلية درجوا في سنوات طفولتهم

وفتوتهم..

صالح: سبحان الله.. من منكما الأفضل.. أنت أم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه؟

سعد: ما هذا السؤال يا صالح؟ طبعاً علي هو الأفضل.

صالح: وهو الأعلم بروح هذا الدين الذي نعتز والأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سعد: كل هذا صحيح.

صالح: ومع ذلك فقد كان يقول: ربوا أولادكم بجيل غير جيلكم. فلماذا ترفض الاعتراف بقوانين الجيل القادم وهوأياته وأمزجته؟ لماذا لا تنحني أمام رغباته حين لا تتعارض مع أوامر الله ونواهيه.

سعد: لماذا تدور يا صالح وتلف حول موضوع هذا الولد؟ لقد قررت أن أؤدبه.. وسيتأدب..

صالح: إن أخوف ما أخاف يا سعد أن تضيع وتضيع أسرتك.. أسألك بالله: هل حاولت أن تعرف رأي زوجتك وأولادك في معاملتك لهم؟

سعد: والله عال.. لم يبق علينا في آخر الزمان غير هذا يا صالح.

صالح: أرجوك ألا تثيرني.. قل لي: من عساک تحسب نفسك؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو عند ربه قد قيل له من فوق سبع سماوات: " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " .. وقيل له: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ". أنسيت أن أولادك وزوجتك ناس من الناس؟ أنسيت أن من حقهم أن يتمتعوا بحريتهم وأن يكون لهم حق المشاركة في الرأي والمشاركة في الاستمتاع بالحياة في حدود ما أمر الله به؟

سعد: يا صالح.. يا أخي صالح.. أرجوك.. هذا أمر فوق طاقتي.. لقد تربيت في بيت حزم وعن والد شديد المراس أراذني حازماً شديداً.. وأنا عازم على أن أتصرف مع أسرتي بالطريقة نفسها..

صالح: إذاً فاعلم أن أحمد لن يعود إليك. وربما لحقه أخوته في مستقبل الأيام.

سعد: لعلك تحرضه علي.

صالح: عيب يا سعد. أن يخطر في بالك مثل هذا الخاطر.. كل ما في الأمر أن أحمد أصبح في سن تعطيه حق المشاركة في الرأي والحرية في المناقشة. أقول لك للمرة الأخيرة: لا تدفعه إلى ما لا تحب أنت ولا ما لا نحب نحن...

سعد: " بعد تفكير وتردد " دعني يا صالح.. أعطني فرصة للتفكير.. إنك تفاجئني بأفكار ومطالب لم أعود التعامل معها من قبل..

صالح: حسن سأتركك.. لكنني قبل أن أغادر هذا البيت أقول لك ما رواه مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه"..

نقطة موسيقية.....

سالم: " وكأنه يتابع حديثه " هكذا يا عم صالح غنا كما هي عادتنا في كل ليلة وعندما قمنا لصلاة الفجر توجهت إلى غرفة أحمد فطرقت الباب عليه بعد أن طال انتظاري له لكن أحداً لم يرد علي. ففتحت الباب فوجدت الفراش لم يمس ولم يكن أحد في الغرفة..

صالح: وأين عساه يكون؟

سالم: لست أدري.. لقد حاولنا أنا ووالدي البحث عنه حيث تصورنا أننا نجده وسألنا عنه كل من يعرفه دون جدوى. وأخيراً طلب مني والدي أن أتصل بك على أمل أن يكون عندك علم بوجهته.

صالح: الحق يا ابن أخي أنه لم يتصل بي حتى الآن.

سالم: هل تعتقد أنه عاد إلى منزل أبويه؟

صالح: ربما.. فهو فتى عاقل..

سالم: صحيح.. لكن هدوءه هو هدوء سطح المحيط الذي يضطرم في أعماقه جحيم بركان هائل.

صالح: أرجو ألا يسيء إلى نفسه.. إن الأمل الأخير معقود على الاتصال بأبيه سعد.

سالم: هل أطلب العم سعداً على التليفون؟

صالح: وهل لنا غير هذا السبيل؟

سالم: " يدير قرص التليفون.. يسمع الجرس " ..

سعد: " يرفع السماعة " ألو.. من المتكلم.

سالم: صباح الخير يا عم سعد.

سعد: صباح الخير يا بني.. من أنت؟

سالم: أنا سالم الزيد الخالد.

سعد: مرحبا بك.. كيف حالك يا ابن أخي؟

سالم: الحمد لله..

سعد: وكيف حال الوالد؟

سالم: إنه يبلغك تحياته.

سعد: هل هو معك؟

سالم: كلا.. العم صالح يريد أن يكلمك.

سعد: أعطني إياه.

صالح: " فترة صمت " مرحبا يا أبا أحمد.

سعد: مرحبا يا أخ صالح.

صالح: هل عندك جديد عن أحمد؟

سعد: كلا..

صالح: هل تعني أنه لم يتصل بك؟

سعد: نعم.. إنه لم يتصل بي.

صالح: إذاً فاعلم أنه قد غادر منزل أبي سالم ليلة أمس ولم يعد حتى الآن. وهذا يعني أنه قد أمضى أربعاً وعشرين ساعة في

مكان مجهول.. " فترة صمت " ماذا تقول؟ لماذا لا ترد يا أبا أحمد؟

سعد: وماذا أقول لك؟

صالح: لست أدري.. المهم أن تعلم أن هذا الغياب ظاهرة غير عادية.

سعد: شكراً لك على اهتمامك.

صالح: لا شكر على واجب.

نقطة موسيقية...

محمود: إن ما تقصه علي يا عم صالح يدل إلى ظاهرة غريبة. والحقيقة أنني ما كنت أتصور أن في الدنيا رجالاً من هذا الطراز..

صالح: لا تعجب يا محمود فإن أمثال أبي أحمد رجال اختلطت في نفوسهم عناصر كثيرة متناقضة.. إنهم في الأساس متدينون لكن تدينهم مشوب بمفهومات خاصة عن حقوق الآباء وواجبات الأبناء.. وتبلغ الحساسية عندهم مبلغاً شديداً تتعطل معها قدرتهم على التصرف المعقول والتفكير السليم..

محمود: أتعرف ما الذي ينقصنا يا أخ صالح؟

صالح: وما الذي ينقصنا في رأيك؟

محمود: هو أن تسلط الأضواء على شخصية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث تنقش في قلوب الناس شمائله وصفاته عليه السلام وتقدم إليهم التفاصيل التامة المتعلقة بكل شيء في حياته. بسلوكه ولغته ومواقفه من الأحداث وتعامله مع أهل بيته وجيرانه وأصحابه..

طرق على الباب...

صالح: ادخل.. فالباب مفتوح.

أحمد: " حركة فتح الباب " السلام عليكم ورحمة الله.

صالح ومحمود: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

صالح: سبحان الله.. عمرك طويل يا أحمد.

محمود: مصادفة غريبة.. لكأننا كنا ننادي عليك. فقد كان حوارنا حولك وحول والدك.

أحمد: " يضحك " أرجو أن يكون حواراً في صالحنا.

محمود: وإنه كذلك إن شاء الله.

صالح: وكان مما تناولناه في الحوار موضوع هام جداً. إنه يتعلق بتسليط الضوء على شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يعايش الأطفال والفتيان حياته عليه السلام سنة بعد سنة بل يوماً بعد يوم.

أحمد: ليست المشكلة فيما أتصور في تدريس الشمائل النبوية وحسب. بل في أن تكون هذه الشمائل حية تسعى على قدمين في رجال يلتزمون بها ويعيشونها في تعاملهم مع أنفسهم ومع الناس.

محمود: صدقت يا أخ أحمد.

أحمد: ذلك لأن التعلم بالقدوة أخطر وأهم كثيراً من التعلم بالكتاب. ولذلك كان قوله تبارك وتعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " .. لقد كان عليه السلام هو الإسلام نفسه على صورة إنسان.

محمود: لكن كيف السبيل إلى ذلك يا أحمد؟

أحمد: أئفتى والعم صالح معنا؟!..

صالح: كلا يا أحمد فأنا أحب أن أسمع منك.

أحمد: حسن.. إذا كنتما تريدان رأيي في الموضوع فأنا أعتقد أن تصحيح الأوضاع مرتبط بزلزلة في النفوس يحدثها إيمان عظيم..

محمود: وماذا يفعل الإيمان في مثل هذه الحالة؟

أحمد: الإيمان حين يكون صاحب السلطان تخضع له كل الجوارح وتطامن أمامه كل النزعات النفسية بحيث يصبح القلب عجيبة تستجيب للشكل الذي يراد لها أن تتشكل به. ومن أجل ذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين الإيمان والاستقامة.. أي بين الإيمان والخلق.. فإذا انفصل أحدهما عن الآخر فقد الإيمان حرارته وأصبح مجرد عصبية عمياء. إن الإيمان الحقيقي نور يستضاء به في طريق الدنيا ونور يتقدم صاحبه يوم القيامة.

محمود: كل هذا جميل.. لكن أين لنا بهذا الإيمان؟ كيف يمكن أن نحققه سلوكاً في حياتنا وحياتنا الناس؟

صالح: أعتقد يا محمود أن في التجربة التي عاناها ابن أخينا أحمد بعد أن غادر منزل أبي سالم ما ساعده على اكتشاف مصادر هذا الإيمان.. فهل لك أن تحدثنا عن هذه التجربة؟

محمود: سيكون هذا مصدر سرور لنا على أن يكون الحديث بعد الصلاة فأنا لم أصلي العشاء حتى الآن..

موسيقى نهاية....